Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت إذا غَضِبَتْ عليَّ تَظَلَّمَتْ وإذا كَرِهْتُ كلامها لم تُثْقِلِ
وإذا رأتْ لي جِنَّةً عملتْ لها ومتى تَعَنَّ بعلم شيء تسأل[1]

داخل جدران سجنه المعتم، بعيداً عن الأهل وأبناء العشيرة، وفي وحدته القاتلة، استيقظت لدى «البرّاء بن قيس» ذكرى زوجته، فكانت هذه الأبيات التي ينادي فيها شريكة حياته، فيندفع مخاطباً دارها، ناصحاً إياها، معبراً عن صَورتها في مخيّلته، صورة المرأة الحكيمة العطوف، والتي تشارك زوجها مشاعره وأحاسيسه، وأفراحه وأتراحه، ومشاغله وهمومه، وهي ليست مدّعية أو مغرورة، لأنها متى اعترضها شيء تسأل عنه مستوضحة.

فهل هذه الصورة عن الزوجة هي نفسها التي كانت في مخيلة «البراء» قبل حبسه؟ أو أن السجن هو الذي هيّج نفسه، وأثار مشاعره، فتداخلت تلك الاحاسيس مع الحنين إلى لقاء زوجته؟

والجواب هو أن محنة السجن والشعور بالوحدة والبعد عن المرأة كل ذلك كان باعثاً في تحريك وجدان الشاعر فسمت صورتها في مخيلته وعبر عن ذلك لسانه.

2 ـ سعيد بن العاص

سعيد بن العاص بن أمية، يكنّى «أبا أحيحة» كان من وجوه قريش، لم يدرك الاسلام، وكان إذا إغْتَمَّ بمكة، لم يعتّم أحد بمثل عمامته، إجلالاً له. وكان سعيد قد قدم الشام في تجارة، فحبسه «عمرو بن جفنة» لأجل «عثمان بن الحارث» فقال سعيد في ذلك شعراً[2].

لقد سجن «سعيد بن العاص» في الشام ظلماً، فهو لم يحبس لذنب اقترفته يداه، وطال انتظاره في الحبس، فتحطمت كبرياؤه أمام صمت ذويه وتقاعسهم، لا حول له ولا قوة، ولا سبيل للخلاص إلا بالفدية. فأخذ ينادي الركبان، عسى أن يذكروا وجهاء قومه به، ليعملوا على إطلاق سراحه، لاجئاً إلى أسلوب الترغيب بمدحة فريدة من نوعها.

---

(1) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان 5/ 57.

(2) راجع ما ذكرناه سابقاً ص 20 سعيد بن العاص وابن جفنة.